نظرية الخلق.

1-ظروف نشأتها:

ظهرت نظرية الخلق إثر أفول الفكر البرجوازي وإبان أزمته الفكرية والروحية، في أواخر القرن التاسع عشر، أي في عهد الانحطاط السياسي والاقتصادي والأدبي للبرجوازية، وقد جاءت كرد فعل على تحول الفن إلى سلعة في العالم الرأسمالي، فنادت بالفن الخالص أو الفن الحقيقي الذي يرفض ارتباطه بحليف ملوث فاسد (الأخلاق، العلم، المجتمع...) فالأدب ليس نفعيا، ويجب أن يعود إلى برجه العاجي ويتبنى قيما جمالية محضة.

يرفض الفنان الخالص الفن من أجل النجاح والشهرة، لكن هذا لا يعني أن النجاح والشهرة أحاسيس مفصولة عن الإنسان، لأنها موجودة فيه بالطبيعة والفطرة، ولا تكون دائما معارضة للفن أو تحط من قيمته، كما أن احتواء الفن على المعلومات أمر جد منطقي نجده في الروايات التاريخية والواقعية، كما أن المعلومات الصحيحة يمكن أن تكون مادة دسمة للفن أيضا، والفن من أجل قضية ما هو هدف إنساني ويسمو على كل المواضيع الأخرى، ويجب أن نعترف بأنه لا يحط من قيمة العمل الأدبي والفني توظيفه في خدمة قضايا إنسانية نبيلة. بالمقابل فإن الأدب والقضية قد يعانيان أحيانا من اللجوء إلى النفاق وتحريف الأفكار والحقائق.

يمكن أن نميز أربعة معاني للأدب في ضوء نظرية الخلق، أولها: النظر إلى الأدب كتسلية خالصة، ويعتبر هذا الأدب مستقلا ومسؤولا عن نفسه فقط.

ثانيا: الأدب تكنيك، فالأديب يستمتع بالتكنيك بحد ذاته، ولكن التكنيك هذا يتضمن هدفا يعتبر أسمى من الوسيلة ذاتها، وهو النص.

ثالثا: الفن للفن والشعر للشعر.. لكن الأدب يفرض الاتصال والاتصال بدوره يفرض الارتباط بأهداف أخرى منفصلة.

رابعا: النظر إلى العمل الأدبي على أنه كائن خلقه الأديب من ذاته ووسيلته في الخلق هي اللغة، فجوهر الأدب هو الصياغة والتشكيل.

أسسها الفكرية والفلسفية:

تستند نظرية الخلق إلى الفلسفة المثالية الذاتية، المغرقة في الذاتية، فقد انتهى كانت إلى الفصل بين الجميل والمفيد، بل وضع تناقضا بينهما، فهو عكس ما يرى أفلاطون، إذ يرفض الفن إذا ارتبط بأية فائدة أو منفعة.

يرى كانت أن العمل الفني ذو وحدة جوهرية فنية فيها نفسها تنحصر الغاية منه، فالعمل الأدبي الفني بالنسبة له بنية وما يجعل منه عملا أدبيا وفنيا هو هذه البنية، فالجمال في الأدب يشعرنا بمتعة تغنينا عن السؤال عن الغاية، ويقدم مثالا عن ذلك فيقول أن التفاحة بالنسبة للرسام جميلة ليس فيها منفعة بينما التاجر يراها نافعة وسيفكر في توسيع زراعتها للربح أكثر، فاقتران الجمال بالخير يجعل الجميل غير خالص لجماله. ويرى أن الحكم الجمالي النقدي يصدر عن الذوق وينبغي أن يكون ذاتيا أولا وهو حكم غير خاضع للمنطق والعقل والسؤال عن الغاية.

أما هيغل فيرى أن مضمون الفن هو فكرة الجمال المستقلة مهما يكن مظهره الاجتماعي أو العملي، بينما يرى تيوفيل جوتيه بأن الفن ليس وسيلة بل غاية في حد ذاته لذا فهو مستقل تماما، يقول بأن "لاوجود لشيء جميل إلا إذا كان لا فائدة له وكل ما هو نافع قبيح"

أسس نظرية الخلق:

أولا: الشعر والحياة.

يرى أ.س برادلي أن الحياة تملك الحقيقة ولا ترضي الخيال عكس الشعر فهو يرضي الخيال ولا يمتلك الحقيقة الكاملة، فهما ظاهرتان متوازيتان لا تلتقيان، ويؤكد في فكرة لاحقة أن بين الشعر والحياة اتصالا خفيا. ويضيف أيضا أن التجربة الشعرية غاية في ذاتها وقيمتها هي قيمتها الذاتية، وللحكم على الشعر علينا تتبع التجربة وقوانينها وأن ننسى ما يربطنا بالعالم الواقعي، والفن لا يوضع مقابلا للمنفعة الإنسانية لأن العمل الفني في حد ذاته منفعة.

ثانيا: الشعر والموضوع.

لا تعتد نظرية الخلق بالموضوع ، فلا أهمية له وما يهم هو كيف استطاع هذا الموضوع الذي اختاره الشاعر أن يتحول من مجرد موضوع خارجي إلى عمل فني، فليست طبيعة الموضوع هي التي تحدد قيمته وما تباين التجارب الشعرية في نفس الموضوع إلا دليل على ذلك.

ثالثا: الشعر والعواطف.

العمل الفني ليس نتيجة للشعور والعواطف، فهناك من يكتب في موضوع واحد وتجربة واحدة ومناسبة واحدة ويصدر عن عاطفة واحدة لكن تلك الكتابات تتفاوت في الجودة والسبب يعود إلى قدرة الشاعر على الخلق. كما أن قيمة العمل الأدبي ترجع إلى قوة الابتكار والخلق الأدبي التي تتمثل في جعل اللغة قادرة على الإيحاء وامتلاك قوة التأثير.

رابعا: الخلق الفني.

العمل الأدبي في نظرية الخلق هو كائن خلقه الفنان الشاعر من ذاته، واللغة هي مادة الأدب، ومعنى الخلق الفني هو سيطرة الشاعر على اللغة بما يضفيه عليها من ذاته وروحه، وتتحدد قيمة العمل الأدبي بالعلاقة التي تنشأ بين اللغة والتجربة الشعورية.

خامسا: العمل الأدبي خلق حر.

يرى كروتشيه بأن الفن حدس خالص أو صور خالصة متجردة من الفلسفة ومن الأخلاق واللذة، يقول:" إن الفن هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التي يحسها الفنان وبين الصورة التي يعبر بها عن هذه العاطفة".

سادسا: المعادل الموضوعي.

يرى إليوت أنه على الشاعر التخلص من انفعالاته بإيجاد معادل موضوعي له يساويه ويوازيه، ويعينه في ذلك عقله. تعينه لغته في تجسيد انفعالاته فيما يعادلها، وتزداد درجة النضج في الخلق الفني كلما ازداد انفصال الشاعر عن ذاته المنفعلة، وهي المقدرة الفنية أو ما يسمى بالتكنيك.

يخلق الأديب معادله الموضوعي عن طريق عقله الذي يقوم بدور الوسيط في المعادلات الكيمائية، أي أن العواطف والأفكار والتجارب تتحول بواسطة العقل إلى مركب جديد يختلف تماما عن الأصل بينما يظل العقل هو نفسه لا يتغير. فدور العقل يشبه دور النار في المعادلات الكيميائية وعلى الأديب أن ينأى بشخصيته ويفصلها حتى يستطيع العقل الخالق أن يفهم مواد هذا الموقف الفني من عاطفة وإحساس وتجربة ويتمكن من تحويلها إلى خلق.